

حديث لم يكتب

خالد بن الوليد^(١) عند الصنم (العزى)

نذير الحسامي

بعد أن تم فتح مكة بجيش المسلمين في العام الثامن الهجري وانتصر خالد بن الوليد على من اعترض سبيله للفتح من قريش ، قام الرسول الكريم محمد عليه السلام بهدم الأصنام في الكعبة ثم بعث خالدًا إلى محلة (نخلة) ليهدم (العزى) وهي الصنم الأكبر الذي كان معبود كثير من قبائل العرب فلما انتهى إليه خالد حطمه وهدم بيته :

□ ذكريات الصبا :

أظنك يا صديق الأمس تذكرني بمحرابك^٥
ترى بي ما يروع ولا يسرك أن أرى ما بك !
على هديبي انتفاض رؤى تموت أسى بأهدابك
وفي ثوبي جموح هوى تلاشى تحت أثوابك
أتذكرني (مغرباً) (٢) عزيزاً بين أسرابك ؟
تراني في غيابي عنك أعدل كل غيَّابك !
وتقسم أنني في القوس ما مثلي بنشأبك
أسمي سيد الفرسان ٠٠ من يحميك في غابك ؟
أتيه علًا على لقبي فهل تملو بالقابك ؟
تضيء فتوتي كالشمس تكسف برق طلابك
بميداني من الخطَّاب ما يزرني بخطابك
فتي لم تلق مثل علاه بين وجوه أصحابك
أحط ورائي الصبوات أجمها على بابك
وأزعم أن مال بي ومالي بعض أسلاك !

وأعرف أن لي قلباً عصياً ما تعالى بك
وأني ما رأيت الجد يغريني بتلمابك
ولم أشدد لخيّل هواي ناصية بأطنابك
يهيم بك (الوليد) أبي ليربطني بأسبابك
فيزعم قائلاً : هذا المعلق رب أربابك !
ويهتف فيك : يا عزّاي ، مشتملاً بجلبابك
وأنت كما أرى ، ما عشت ، عريان كأترابك
وأنت أصم لم تفرح ولم تحزن لأحبابك !
فويح أبي يريق الوجد محترقاً بأكوابك
ويسألك الهوى والنار مطفأة بأعصابك
يحاذر أن تهتم به وما الأقدار في نابك
ويستسقي وما في الكأس من شهدك أو صابك
أتذكره وتذكرني حفيين بأربابك ؟
أتعرف هاجساً في القلب لم يخشع بأعتابك ؟
وسيفاً صارماً يلقاك قد يحظى بأعجابك !!

صرعت أبي وكان علي
كؤوس الغي ندمانك
رؤيتك يا صديق الأمس هل أغريت بي أنك ؟
ألا تلمح بي حراً
به ضيقت عبدانك ؟
أأخذلني الملا يوماً
إذا أزمعت خذلانك ؟
ثكلتك أيها العزى
ولا ناديت : غفرانك

سأربح فيك خسراني
وأخسر فيك بهتانك
أترفع في بني مخزوم ، بعد اليوم ، بنيانك ؟
أنار بني المغيرة أشعلت في القوم نيرانك ؟
أذن فاعلم بأني مطفىء بالسيف بركانك

فكفرانك كفرانك
ولا استلهمت شيطانك
ولا استبقيت أنصاباً
طواغيتاً وأرباباً
وأعداء وأصحاباً
ولا صدقت كذاباً
إذا حضر الهدى غاباً

★ ★ ★

□ رثاء خالد للصنم !

وأبشر جاء من يشفي
غليلك أيها الصنم !
قعدت بوزر ما حكموا
وقمت بافك ما أثموا

فها أنا في حمى بابك
فماذا بي وماذا بك ؟
أراك تسر لي قولاً ؟
أتغشى قولتي : لولا ؟
وتلمح في يدي هولا ؟
إذا ما طال واستولى
فلا حول ولا طول

★ ★ ★

□ ذكريات خالد مع أبيه عند الصنم :

وكيف ترى قدومي اليوم ؟ هل يعلي الفتى شانك ؟؟
وهل جاء التدله بي ؟ وجئت أبل أحزانك ؟
وهل نعتت أضاحي (ابن المغيرة) (٣) أمس ظمآنك ؟
على قدميك تستعطي دماء الشاء احسانك ؟
وباسمك تذبح الابل التي سألتك تحنانك
وعندك تسفح الصلوات من متعبد صانك
ويحلف أنه في السر والاعلان ما خانك
أبي ريحانة (٤) البطحاء كم ساقاك ريحانك
وحيد (٥) قريش في المعروف ٠٠ أنى ذاق عرفانك ؟
تكبر أن يعمل الخمر هل عوضته حانك ؟ (٦)
أبي والجاهلية ارثه ما اسطاع عصيانك
أثيم (٧) في كتاب الله هل تحبوه رضوانك ؟
يجير الضيف باسمك هل رآك تجير ضيفانك ؟؟
ويحمي الجار هل ألفاك تحمي أنت جيرانك ؟
فخار أبي ، وتعرف من أبي ، بخضوعه زانك
تهاوى فيه صرح الجاهلي يلم أركانك
صحبت مقرّب القربان يستجديك تبيانك
وأسأل في الضمير أبي : لمن قدمت قربانك ؟!
على قدميك ذل أبأوه يدعوك : سبحانك !!

يداني الجائر الشاني
إذا ما مس أردانك

ولم تقعد وفوقك من
 عناكب جهلهم لِمَم
 وما عبدوك الا واقفاً كالعبد بينهم !
 هم اعتقلوك وانفتلوا
 يشدون العقال هم !
 بليل ضلالهم رسموك وافتتنوا بما رسموا
 بصمتك من غباوتهم
 لسان ناطق وفم
 طليقاً كنت كيف نحت من أوهام ما حلّموا ؟
 تعاني من ركوعهم
 وتعي من سجودهم !!
 أَدفع عنهم البلوى
 وأنت المبتلى بهم ؟
 ويقتلك الظما والغيث حولك ميتة ودم
 ولا يشجيك الا اثنان : أهل البهم والبهمة !!
 ألسنت على الثرى أُندي
 جبيناً منك عندهم ؟
 وبين صخور مكة حيث تحنو الشمس والديم
 أعز حمى وأطهر مضجعاً من ليل سجنهم ؟
 ألم يضجرك حمقهم
 اذا استلموك أو لثموا ؟
 ألم يوغرك أن يبكي
 مهيناً حولك القسم ؟
 وجودك بينهم عدم
 عميت عن الضحى وعموا
 وأنت لعنت بل لعنوا
 فهم بأكفهم رجموا
 لماذا لم تضق بهم ؟
 لماذا لم تقل لهم ؟

أفيك حلا لهم بكم ؟
 ومنك أراحهم صمم ؟؟
 أمشتاق الى فأس
 تحطم فيك ما وهموا ؟
 أتاك فتى بحد السيف لم تعثر به قدم
 أتاك محطم الطاغوت لا بغى ولا نقم
 فاني ابن الوليد وهل
 أنا بالحق متهم ؟
 فبعد اليوم لا غل
 ولا قيد ولا لجم
 وبعد اليوم لا زور
 ولا ظلم ولا ظلم
 فأبشر ويك يا صنم
 فمني ليس معتصم
 دع الجبناء ينهزموا
 فلن يعلمو لهم علم

أضاء الصبح يبتسم
 وأذن في الورى نغم
 من الرحمان في عده
 يمزق للدجى كبده
 وينصر للضحى جنده
 ويرفع في الهدى مجده
 بدنيا الافك والرده

* * *

□ خالد يتغنى بسيفه قبل ضرب الصنم :
 أتيك أيها العزى
 وسيفي في يدي ثمل

ثكلتك أيها السيف الذي ضاقت به السبيل
لغير منك حبل حول هذا العنق ينفتل
فيا صنماً أتيت له
بحد ما به دخل

تصدع وانتثر بدداً
بأرض منك تفتسل
أرحتك أيها المأفون من آثام ما افتعلوا
فبعد اليوم لا حبسوا
لهم رباً ولا اعتقلوا !

فلا (عزي) بأسرهم
ولا (لات) ولا هبل (١)
وأعلم أنني في حرب أصنام الوري البطل
وسيف سلّني الله
ينقلّني فانتقل

أقود كتائب الرحمان بالايمان تشتعل
أشق بها الليالي ما الفلا ؟ ما السهل ؟ ما الجبل ؟
وتغزو الشرعة السمحاء من علموا ومن جهلوا
رجال في سبيل الحق ما منعوا وما بذلوا

وما طرحوا وما حملوا
وما قالوا وما فعلوا
أباة للغنا عرب
لغير المجد ما انتسبوا
إذا اعترض الأذى غضبوا
وان شهروا الظبي ضربوا
ورائي ٠٠٠ نعم ما طلبوا (١٠)

مضى نهلاً بكل دم
عليه الاثم يكتحل

ولمّا يشفه بلل
ولمّا يروه نهل
به داويت جرح الحق حتى راح يندمل
ووطأت الرقاب له

بمن بخلوا بما سئلوا
جبايرة الحمى فطموا
عليه بعدما اكتهلوا

ضربت به الدجى غلساً
فضاءت في الدجى المقل

شديد البأس مرتجل
فما ينبو به وجل

أتيتك أيها العزي
به والليل يرتحل

تعال ٠٠ تدن ٠٠ بل أدنو
ويدنو في يدي الأجل

عدمك ما أرى ؟ في العنق سيفاً واجف خجل ؟ (٨)
أراه يصيح في عيني : دعني أيها الرجل !

صّفاري من صفار أخى
كلانا في الهوى وحل

جبان لم يطلق حملي
برعدته هو الحمل

أتى بي (ربه) ومضى
على آثار من خدلوا !

يقول : اليك يا عزي
به ان نابك الجلل !

★ ★ ★

□ الحواشي :

- ١ - كان خالد وهو فتى في الجاهلية يصحب اباہ الوليد الى حي (نخلة) حيث كان يرى اباہ يتوسع بالعضى ويعظمه وينعز الابل والشاء قرايين له وخاند غير مطمئن ولا قانع بفعل ابيه .
 - ٢ - كان يزهو ابن الوليد وهو فتى على فتیان قريش بنسبه الى جده (المغيرة) .
 - ٣ - لقب الوليد ابي خالد وكان يفخر بنسبه لآبيه (المغيرة) . وقد قال خالد للرسول الكريم يوم عاد يخبره بهدمه للعضى كما امره : لقد كنت ارى ابي ياتي العضى بخير ما له من الابل والغنم فيذببحها عند قدميه ويقيم عنده ثلاثا ثم ينصرف اليها مسرورا .
 - ٤ - كانت قريش تدعو الوليد ربحانته وكان يسمى ربحانة مكة لانه كان وحده يعدل قريشا كلها في كسوة الكعبة فيكسوها من ماله سنة وتكسوها قريش مجتمعة سنة .
 - ٥ - من القاب الوليد .
 - ٦ - عرف عن الوليد انه حرم على نفسه الخمر قبل ان يحرمها الاسلام . وجاء في صبح الأعشى انه اول من حرم الخمر في الجاهلية .
 - ٧ - جاء في سورة (القلم) من القرآن الكريم في وصف الوليد انه (معتد أثيم) .
 - ٨ - ذكر ان حارس بيت (العزى) لا سمع بهسير خالد بن الوليد اليه ليحطمه علق في عنق الصنم سيفه وهرب وهو يقول :
- ايا عز شدي شدة لا شوى لها على خالد القي القناع وشوري
ويا عز ان لم تقتلي اليوم خالدا فبؤسي باثم عاجل او تنصري
- ٩ - (اللات) و (هبل) صنمان كبيران حطهما الرسول عليه السلام مع غيرها يوم فتح مكة .
 - ١٠ - النصر أو الشهادة .

